غربة الإسلام

وعزلة المسلم

عصام الدين أحمد كامل

www.alukah.net

غربة الإسلام
وعزلة المسلم

بقلم / عصام الدين أحمد كامل

شبكة الألوكة - قسم الكتب

غربة الإسلام وعزلة المسلم

بقلم / عصام الدين أحمد كامل

تساؤلات عديدة يطرحها صاحب كل عقل أعطاه الله القدرة على التفكيرعن سبيل الخروج مما نحن فيه من ضياع، فالأمة حقا تمر تاريخيا بتلك المرحلة، مرحلة الضياع وطمس الهوية والإختلاف الجذري مابين دولة تقام على شرع الله ودولة تقام على القوانين المدنية والمواثيق الدولية، ولا شك بأن سبب ذلك الضياع هو الضعف وبعبارة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم الشاملة الدقيقة (**الوهن**)، فنحن لانستطيع الاستغناء عن الغير، ولاقدرة لدينا على الاعتماد على الذات ولا حتى على حماية أنفسنا، ومن هديه صلى الله عليه وسلم نطرح في البدء حديثان شريفان نستضئ بهما قبل أن نسترسل:

الحديث الأول

عن ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يوشك الأمم أن تداعى عليكم، كما تداعى الأكلة إلى قصعتها. فقال قائل: ومِن قلَّةٍ نحن يومئذ؟ قال: بل أنتم يومئذٍ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السَّيل، وليترعنَّ الله مِن صدور عدوِّكم المهابة منكم، وليقذفنَّ الله في قلوبكم الوَهَن. فقال قائل: يا رسول الله وما الوَهْن؟ قال: حبُّ الدُّنيا وكراهية الموت).

والحديث الثاني

عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَن قَبْلَكُمْ شِبْرًا بشِبْرٍ، وَذِرَاعًا بذِرَاعٍ، حتَّى لو سَلَكُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَسَلَكْتُمُوهُ، قُلْنَا: يا رَسُولَ اللَّهِ، اليَهُودَ وَالنَّصَارَى؟ قالَ: فَمَنْ؟ أي فمن غيرهما؟

تساؤلات كثيرة تلك التي تمور بالذهن وتحتاج لجواب من عقلاء هذه الأمة الضائعة، التي تداعت عليها بالفعل الأكلة من كل الأمم لكن أهمها هي:

- **هل نحن نريد حقا لمنهج الله أن يحكمنا؟**
- **هل نري بجلاء أن منهج الله عز جاهه قادرًا على اقامة الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعلمية التي نرجوها؟**

- **هل نحن قد أصبحنا خاضعين للغرب وأصبح متسلطًا ومتحكمًا فينا للدرجة التي جعلتنا نتنكر لماضينا وهويتنا وعقيدتنا اتقاء لشره؟**
- **هل بعدنا عن صحيح الإسلام للدرجة التي لايرجي لنا عودة فتأتي عبارات ك " الإسلام هو الحل " أو " تطبيق شرع الله هو الحل " لتنكأ موضع الألم وتؤلب الجراح وتعري سوأة نحاول أن نداريها؟**
- **أم أن مصالح البعض منا ارتبطت بالغرب لدرجة جعلتهم يضحون بنا وبقيمنا ومعتقداتنا قربانا لنيل رضا آلهة جدد في الغرب؟**
- **أم أن الأمة لم تنجب ولم تربي الرجل الذي يحملها على منهج الله؟ فضلا عن كيفية وصول هذا الرجل لسدة الحكم؟**

في الغرب المهيمن المسيطر الذي نتبعه اتباع الضعيف المنكسر، وإتباع صاحب الشهوه نحو مايهوي ويستلذ، انتكست عندهم الفطرة، وإستشري الإلحاد وأصبح الكثيرين منهم يشككون في وجود إله للكون، وصار الشذوذ في الفكر والجنس هو القاعدة، فهل سيكون الحال بالمثل عندنا، ومتي سنقوم بالسخرية من الأنبياء كما فعلوا، ومتي سينبري بعضنا بالدفاع عن حقوق الشواذ والمثليين، ألم توشك أن تنتشر نوادي الديسكو وبيوت البغاء في ربوعنا وتنتقل ملاهي لاس فيجاس إلى ديارنا، هل سيأتي اليوم علينا فتكون البنت التي أكملت عامها الخامس عشر ولم تدخل في علاقة حميمة بنت غير طبيعية، ومن حقها الاستقلال عن أهلها لو ضايقوها واعترضوا على دخول شاب غريب معها لغرفة نومها، وهل سيكون من حق الزوج أن يتخذ له عشيقة غير زوجته، كما من حق كل زوجة أن تتخذ لها عشيقا غير زوجها، واذا رأيت الفاحشة بعينيك فلن يكون من حقك أن تثور أو تعترض، فكل أنثي حرة في جسدها والمواثيق والقوانين الدولية التي وقعت عليها دولتك تكفل ذلك وتحترمه وتبيحه، وهل ستقذف بأمك وأبيك لأقرب دار مسنين عندما يكبرا ويحتاجا للرعاية الصحية، وهل سيموت جارك بجوارك ولن تشعر بموته الا عندما تشتم رائحة جيفته، وهل سيكثر أبناء الحب عندنا (أولاد الزنا) مثلما يحدث الان في الغرب، وربما سنسمح بزواج المثليين والشذوذ كما سمحت بذلك برلمانات الغرب، وربما سنقر بتقنية الطفل ثلاثي الآباء التي أقرها الانجليز رجل وإمرأتين، ربما سيحدث كل ذلك وقد حدث بعضه.

نحن بالفعل بدلنا الشعر العربي وهو ديوان العرب بالشعر الغربي وحررنا ونثرنا القصائد ونقلنا عنهم نظريات النقد فأصبح شعرنا مثل شعر شكسبير أو ت إس إليوت، نثرنا القصائد ثم بعدها اصابنا التيه فلم يعد لدينا شعر يستساغ، وافضل افلامنا هي تلك المترجمة عن روايات لهم، وقد أصبحت موسيقانا كموسيقاهم، وأصبح طعامنا كطعامهم، ونحن ننساق ونتسابق وراء كل صيحات الموضة التي تخرج من بيوت أزيائهم، وقد أنتشرت المسابح وملاعب الجولف في بيوتنا على مثال ماهو في بيوتهم، مالذي تبقي من نمط حياتهم لم يؤثر فينا، وبالطبع سياسيًّا واقتصاديًّا وعلميًّا وتجاريًّا و.. و.. نحن انسحقنا من سنوات أمامهم انسحاق المهزوم أمام المنتصر.

يتسلل كل ذلك رغما عنا إلى أبنائنا وبناتنا في الأفلام والمسلسلات والروايات، وعلي الشبكة العنكبوتية نري بأعيننا مايحدث في بيوتهم بل وفي غرف نومهم، بل وعلي مواقع التواصل الاجتماعي ونتواصل معهم بالشات، لقد صنعت الشبكة العنكبوتية سدا كسد ياجوج ومأجوج بيننا وبين ابنائنا ونسائنا، لم يعد منا من يستطيع الحديث مع إبنه أو ابنته فضلًا عن أنها لن تسمعه وفي أذناها "الهيد فون"، بيوتنا ملأى بالصراخ على أبناء معنا جسدًا، ولكنهم مع الألعاب والفيسبوك واليوتيوب روحًا وعقلًا، سمعنا ورأينا كثيرًا مما يحدث عندهم حادث عندنا وسينتقل كله فيما بعد ما دمنا:

- **نقلِّد كل مايأتينا ومانراه منهم وقد أصبحت المسافة بيننا وبينهم وبين بيوتنا وبيوتهم صفر.**
- **وما دمنا نستورد كل سلع مصانعهم الضارة والنافعة على السواء ولاننتج نحن شيئًا يناسب نمط معيشتنا المختلفة وبيئتنا الخاصة وأخلاقنا الإسلامية.**
- **وما دمنا بعيدين عن قيمنا وأخلاق ديننا ونبتعد عنهما في كل يوم أكثر وأكثر.**
- **وما دام من بيننا من يدافع عن فكر ونظريات ونظم وسلع الغرب ويروج لها ويري أنها الأجدر بالتطبيق.**
- **وما دام فيما بيننا من يريد تمزيق كتب الطبري وابن كثير والقرطبي والبخاري ومسلم، ويتهكم صباح مساء على ابن تيمية وغيره، ويريد الالقاء بمالك وابن حنيفة وابن حنبل والشافعي في سلة المهملات هكذا، وتفتح لمثله القنوات وتفرد له الساعات ويسمعه الأزهر ورجاله والأوقاف ورجالها ولايحرك أي منهم ساكنًا.**
- **وما دمنا نحارب كل دعوة لنشر منهج السماء أو كل من ينادي بتطبيق شرع الله.**

ثنائية الدولة العلمانية والمواطن المسلم:

فإذا ما تركنا الدولة وشأنها وكانت الأمور كما هو الحال في تركيا، والتي ينص دستورها بأنها "دولة علمانية"، وأراد المسلم التركي أن يعيش الإسلام، وأن يحقق معني " لا إله إلا الله " كما شرع الله، فلا يطيع سوى ما أمر الله به، ولا ينتهي إلا عما نهى الله عنه، فإنه سيكون في حيرة من أمره عند اختلاف القانون المدني الحاكم مع ما يؤمن به ويعتقده مما شرع الله، فماذا بوسعه أن يفعل سوى الاعتزال والانعزال عن المجتمع، كي لا يطاله العقوبة بالقانون، وعليه أن يعيش داخل حدود أسرته وحسب؟

وسيكون استحباب العزلة خوفًا من الفتنة في الدين والوقوع في شبهات الحرام، مصداقًا لقوله تعالى: {**فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ**} [الذاريات: ٥٠]، وما رواه مسلم عن سعد بن أَبي وقَّاص رضي الله عنه قالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّه صلى الله عليه وسلم يقول: (**إِنَّ اللَّه يُحِبُّ العَبدَ التَّقِيَّ، الغَنِيَّ، الْخَفِيَّ**)، وما رواه البخاري ومسلم عن أَبي سعيدٍ الخُدريِّ رضي الله عنه قَالَ: (**قَالَ رَجُلٌ: أَيُّ النَّاسِ**

أفضَلُ يا رسولَ اللَّه؟ قَالَ: مُؤْمِنٌ مُجَاهِدٌ بِنَفسِهِ وَمَالِهِ فِي سَبيلِ اللَّه، قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: ثُمَّ رَجُلٌ مُعتَزِلٌ فِي شِعْبٍ مِن الشِّعَاب يَعبُدُ رَبَّه)، وفي روايةٍ: **(يتَّقِي اللَّه، ويَدَع النَّاس مِن شَرِّهِ)**، وما رواه البخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم **(يُوشِك أَنْ يَكُونَ خَيْرَ مَال الْمُسْلِم غَنَمٌ يَتبعُ بِهَا شَعَفَ الْجِبَال ومواقِعَ الْقَطْرِ، يَفِرُّ بِدينِهِ مِنَ الفِتَنِ)**.

فلا شك في أن اعتزال الشر وأهلة والميل للعزلة عند شيوع الفتنة، وانتشار الموبقات – هو من المستحب للأدلة الصحيحة السابقة من الكتاب والسنة، ولو أن يعيش بعيدًا في شِعب من الشعاب ليبقي على دينه سليمًا خوفًا من الفتنة أو النفاق أو المراءاة.

ولا شك أن المؤمن اليوم إذا ما أراد تحقيق معني الإسلام والايمان والتقوى فسيجد صعوبة في مخالطة الناس – وهذا باديا بوضوح عند من يعيش في الغرب، ويبدو أقل وضوحًا وظهورًا وعلى استحياء في الشرق – فالإسلام ينشد لأهله التناصح والتواصي بالحق والتعاون على البر والتقوى والعمل الصالح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والاحسان والتكافل وفروض الكفاية وكل تلك المعاني التي من شأنها إقامة المجتمع الذي يرضي رب العزة.

يقول العلامة ابن باز رحمه الله في فتواه:

السنة هي في اتباع ما أمر به صلى الله عليه وسلم: (المؤمن الذي يُخالط الناسَ ويصبر على أذاهم خيرٌمن المؤمن الذي لا يُخالط الناسَ، ولا يصبر على أذاهم)، فالذي يُخالطهم ويأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويُعلِّمهم ويُوجِّههم إلى الخير هذا أفضل؛ لكن عند تعذّر هذا، وتغيّر الأحوال، وكونه يخشى على دينه؛ لأنهم لا يقبلون منه ذلك، فحينئذٍ تكون العُزلة خيرًا وأفضل له، وذلك إذا كان الاختلاطُ لا يُفيد ولا ينفع بل يضرّ، فالاختلاط عند ذلك أولى حتى لو اعتزل في شعبٍ من الشِّعاب أو في قريةٍ من القرى فلا بأس؛ لطلب السلامة في دينه، والخوف من أن يقع في مشاكل.

ومن المعلوم بأن مكوث المرأة وهي نصف المجتمع في بيتها مندوب، إلا لضرورة لقوله تعالى: {وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى} [الأحزاب: ٣٣]، وهو لون من العزلة، ومن أقوال الصحابة رضي الله عنهم في ترجيح العزلة على الاختلاط:

- يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (خذوا بحظكم من العزلة).
- ويقول سعد أبي وقاص رضي الله عنه: (لوددت أن بيني وبين الناس بابًا من حديد، لا يكلمني أحد ولا أكلمه حتى ألقى الله سبحانه).
- ويقول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: (كونوا ينابيع العلم، مصابيح الليل، أحلاس البيوت جدد القلوب خُلقان الثياب، تعرفون في أهل السماء، وتخفون على أهل الأرض)، وقال أيضًا رضي الله عنه: (كل يوم وليلة تمر بك معافى في نفسك وأهلك ومالك، كرامة من الله، ونعمة لا تدري ما حَسَب ذلك، حتى يصيبك ما لا بد منه).

-وقال عثمان بن أبي العاص رضي الله عنه: (لولا الجمعة والجماعة، لبنيت في أعلى داري هذه بيتًا، فلم أخرج منه حتى أخرج إلى قبري).

-وقال أبو الدرداء رضي الله عنه: (نعم صومعة المرء المسلم بيته، يكف لسانه وفرجه وبصره، وإياكم ومجالس الأسواق، فإنها تلهي وتلغي).

دور المجتمع في بلوغ كمال الإيمان:

لاشك في أن للمجتمع دور في بلوغ درجة الكمال في الإيمان بل والترقي إلى مراتب الإحسان، وذلك في غير أوقات الفتنة، فإعتزال الناس وإن كان سيؤدي بالمؤمن إلى البعد شيئًا ما عن النفاق والرياء لكنه سيحرمة أجورًا كثيرة وثوابًا عظيمًا لأعمال جليلة أمر بها الشرع الحنيف، بل ربما يفقد أعماله بعض الصلاح أو يحرمه الزيادة.

فمن أصول دين الله الحض على السعي فيما ينفع الناس، والتعاون فيما بينهم فيما فيه الخير والإصلاح والصلاح؛ يقول صلى الله عليه وسلم: (**من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته**)، وقال صلى الله عليه وسلم: (**والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه**)، وقال صلى الله عليه وسلم (**من استطاع أن ينفع أخاه فلينفعه**)؛ صحيح مسلم.

وعن أبي موسى رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا جاءه السائل أو طلبت إليه حاجة قال: (**اشفعوا تؤجروا، ويقضي الله على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم ما شاء**)؛ رواه البخاري، وعن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أن رجلًا جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول أي الناس أحب إلى الله، **فقال**: (**أحب الناس إلى الله أنفعهم للناس، وأحب الأعمال إلى الله سرور تدخله على مسلم، تكشف عنه كربة، أو تقضي له دينًا، أو تطرد عنه جوعًا، ولأن أمشي مع أخ في حاجة أحب إلى من أن أعتكف في هذا المسجد، يعني مسجد المدينة شهرًا، ومن كظم غيظه ولو شاء أن يمضيه أمضاه، ملأ الله قلبه يوم القيامة رضا، ومن مشى مع أخيه في حاجة حتى يقضيها له، ثبت الله قدميه يوم تزل الأقدام**)؛ رواه الأصبهاني في الترغيب وابن أبي الدنيا وحسنه الألباني في صحيح الترغيب.

وقال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله:

العزلة خير إذا كان في الخلطة شر، أما إذا لم يكن في الخلطة شر؛ فالاختلاط بالناس أفضل، وقال أيضًا: من كان يخشى على دينه بالاختلاط بالناس، فالأفضل له العزلة، ومن لا يخشى فالأفضل أن يخالط الناس؛ لقوله صلى الله عليه وسلم: (المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على آذاهم، خيرٌ من المؤمن الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على آذاهم).

أما إذا فسد الزمان ورأيت أن اختلاطك مع الناس لا يزيدك إلا شرًّا وبعدًا من الله، فعليك بالوحدة فاعتزل، فالمسألة تختلف، العزلة في زمن الفتن والشر والخوف من المعاصي خير من الخلطة، أما إذا لم يكن

الأمر كذلك، فاختلط مع الناس، وأمر بالمعروف، وانْهَ عن المنكر، واصبر على آذاهم وعاشرهم)؛ من شرح رياض الصالحين.

وعن الإخلاص وخوف الرياء والسمعة: يقول الإمام الشعراوي رحمه الله في خواطره عن سورة المؤمنون آية ٦٠: **{وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ}**، ما داموا قد أعْطوا ومدُّوا أيديهم للآخرين بالعطاء، فلماذا يقول تعالى: {وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ}؛ نقول: لأن العبرة ليست بمجرد العمل، إنما العبرة بقبول العمل، والعمل لا يُقبل إلا إذا كان خالصًا لوجه الله لا يخالطه رياءٌ ولا سمعة، فهم إذًا يعملون ويتحرَّوْن الإخلاص وأسباب القبول، ويتصدَّق أحدهم بالصدقة، بحيث لا تعلم شماله ما أنفقتْ يمينه، ومع ذلك يخاف عدم القبول، وهذه أيضًا من علامات الإيمان، وكأن ربك عز وجل يَغَار عليك أنْ تعمل عملًا لا تأخذ عليه أجرًا؛ لأنك إنْ رأيت الناس في شيء من العمل، تركك الله وإياهم تأخذ منهم الجزاء، فهذا إذًا جَهْد مُهْدر لا فائدة منه، وهذه المسألة لا يرضاها لك ربُّك.

ومن أهل التفسير مَنْ يرى أن الآية {والذين يُؤْتُونَ ما آتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ}، جاءت في الرجل الذي يسرق، والذي يزني، والذي يشرب الخمر، لكن قلبه وَجِلٌ من لقاء الله وخشيته، فما يزال فيه بقية من بقايا الإيمان والحياء من الله تعالى. وقالوا: إن عائشة رضي الله عنها فهمت هذا من الآية.

لكن هذا الفهم لا يستقيم مع قوله تعالى: (يُؤْتُونَ) فمعناها يؤتون غيرهم، فهناك إذًا مُؤتٍ ومُؤْتًى له، ولو أراد السرقة والزنا وشرب الخمر لقال: يَأْتُون.

فالمراد: يؤتون غيرهم ما عليهم من الحق، سواء أكانت هذه الحقوق لله تعالى - كالزكاة والكفارات والنذور والحدود وفروض الكفاية - أو كانت متعلقة بالعباد؛ كالودائع والأمانات والعدالة في الحكم بينهم ... إلخ، فيؤدي المؤمن ما عليه من هذه الحقوق، وقلبه وَجِلٌ أَلاَّ يصاحب الإخلاص عمله فلا يقبل.

غربة الإسلام

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلَّم قال: **(بدأ الإسلام غريبًا وسيعود غريبًا كما بدأ، فطوبى للغرباء)** صحيح مسلم. وبزيادة من حديث ابن مسعود رضي الله عنه: **(قيل: يا رسول الله، ومن الغرباء؟ قال: النُّزَّاع من القبائل)**؛ أحمد وابن ماجه.

ورواه الآجري: **(قيل ومن هم يا رسول الله؟ قال: الَّذين يُصْلِحون إذا فسد الناس)**.

وهو عند الترمذي عن كثير بن عبد الله المُزَني عن أبيه عن جدِّه عن النبي صلى الله عليه وسلَّم: **(إنَّ الإسلام بدأ غريبًا، ويرجع غريبًا، فطوبى للغرباء، الذين يُصْلِحونَ ما أفْسَد الناس بعدي من سُنَّتي)**.

وهو عند الطبراني وأحمد من حديث عبدالله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (طوبى للغرباء)، **قلنا: وما الغرباء؟ قال: (قوم صالحون قليل في ناس سوء كثير، مَنْ يَعصيهِمْ أكثَرُ مِمَّن يُطيعهم)**.

وعن عبدالله بن عمرو بن العاص مَرفوعًا وموقوفًا في هذا الحديث، **قيل: ومن الغرباء؟ قال: (الفرَّارون بدينهم، يبعثهم الله تعالى مع عيسى ابن مريم)**.

فالناس قبل مبعثة صلى الله عليه وسلم كانوا كما قال شوقي رحمه الله:

أَتَيتَ وَالناسُ فَوضى لا تَمُرُّ بِهِم * ** إِلا عَلى صَنَمٍ قَد هامَ في صَنَمِ

ضلالة تامة وغربة مستحكمه. وكان من يؤمن ويتبع الرسول الامين يعرض نفسه واهلة وولده للأذي، ولضغوط لاحد لها وتنكيل وعذاب كي يعود للضلال بعد الهدي، وقد حوصروا وعذبوا وهاجروا فرارًا بدينهم وحرصًا عليه، ففروا إلى الله للحبشة مرتين ثم إلى يثرب بعد ذلك، تركوا ديارهم وبيوتهم وأهلهم وأموالهم نجاة بدينهم وبأنفسهم، اختاروا الغربة وهجر الأوطان على الفتنة في الدين والتي هي أشد من القتل.

وفي آخر الزمان يخبرنا الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم بما سيكون عليه أهل الإسلام من تداعي الأمم، وشيوع الوهن والركون إلى الدنيا.

ثم يكون افتراق أهل الملة إلى ثلاث وسبعين فرقة، يقول صلى الله عليه وسلم: (**ستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين كلها في النار إلا واحدة**)، فالواحدة هم من ظلوا على ما كان عليه الرسول وصحبة الكرام، وهم أهل السنة والجماعة مصداقًا لقوله صلى الله عليه وسلم: (**إن من يعشْ منكم فسيرى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسنتي وسنةِ الخلفاءِ الراشدينَ المهديين من بعدي، عضُّوا عليها بالنواجذِ**)؛ وبقية الفرق الذين لانجاة لهم من النار، من الكفار والملاحدة والفسقة واهل النفاق والمرائين والرويبضة والظلمة وأعوانهم وأصحاب البدع والضالين المضللين، فهؤلاء جميعا بإنتظار وعيد الله كل بحسب جرمه وحجم إثمه. وتلك هي فتنة الشبهات.

وهناك من سيفتن بشهوات الدنيا ومافيها من متع ولذات، روي البخاري عن عمرو بن عوف رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (**والله ما الفَقْر أخْشى عليكم، ولكن أخشى عليكم أن تُبْسَط عليْكُم الدنيا، كما بسطت على من كانَ قبلكم، فتنافسوها كما تنافسوها، فتهلِككم كما أهلكتهم**)، وقد جمع الإمام أحمد في مسنده بين الاثنين فيما رواه عن أبي برزة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (**إنَّما أخشى عليكم الشهوات التي في بطونكم وفروجكم، ومضلاَّت الفتن**)، وفي رواية (**ومضلاَّت الهوى**).

ويصف صلى الله عليه وسلم أهل الثبات على الحق الناجين من فتنة الشبهات والشهوات فيقول:

(لا تَزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خذلهم أو خالفهم، حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك)، فهؤلاء هم الناجين وهم المبشرين وهم أهل التقوى كاملو الإيمان سليمو اليقين.

وذهاب الإسلام وغربته تكون في وجود تلك الطائفة أو غيابها، وأهل تلك الطائفة كما نرى الآن هم إما مبعدون أو مقهورون أو في جوف السجون.

قال الأوزاعي: أما إنَّه ما يذهب الإسلام، ولكن يذهب أهل السنة، حتى ما يبقى في البلد منهم إلا رجل واحد.

ونحن نرى بين ظهرانينا كيف تحارب السنة النبوية الشريفة وأهلها، من لدن من سموا أنفسهم بالقرآنيين، ونرى ونسمع من يهاجم أئمة الحديث كالبخاري ومسلم، وكذلك رواة الحديث كأبي هريرة رضي الله عنه، وقد جاء ذكرهم في الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم قال: **(يوشِكُ أنْ يقعُدَ الرجلُ مُتَّكِئًا على أَريكَتِهِ، يُحَدَّثُ بحديثٍ مِنْ حديثي، فيقولُ: بينَنا وبينَكُمْ كتابُ اللهِ، فما وجدْنا فيه مِنْ حلالٍ اسْتَحْلَلْناهُ، وما وجدَنا فيه مِنْ حرامٍ حرَّمْناهُ، ألَا وإنَّ ما حرَّمَ رسولُ اللهِ مثلَ ما حرَّمَ اللهُ)**، من حديث المقدام بن معدي كرب، وعن سفيان الثوري أنه قال: "استوصوا بأهل السنة خيرًا فإنهم غرباء".

وكان الفضيل بن عياض يقول: "أهل السنَّة مَنْ عرف ما يدخل بطنه من حلال".

ويدلنا حديث المصطفي صلى الله عليه وسلم عليهم في قوله: (إنَّ اللهَ يُحِبُّ العَبْدَ الخفيَّ التقيَّ).

والغربة هي كما نشاهد ونري لها مظهران:

- **(الأول)** قلة عدد هؤلاء المخلصين وسط كثرة المفسدين من أهل النفاق والساكتين عن قول الحق وانكار الباطل، **يقول الإمام علي رضي الله عنه (حين سكت أهل الحق عن الباطل، توهم أهل الباطل أنهم على حق).**

- **(والثاني)** غياب أعمال الصلاح وانتشار السلوكيات المنحطة وإشتباه الحلال مع الحرام، وشيوع التعامل بالربا وفساد الأذواق وضياع الأخلاق وانتشار الرشوة والواسطة، وإعلان كل ماهو فاضح سواء على وسائل الإعلام أو الإنترنت، ففي الصحيح عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال صلى الله عليه وسلم **(يا مَعْشَرَ المهاجرينَ! خِصالٌ خَمْسٌ إذا ابتُلِيتُمْ بِهِنَّ، وأعوذُ باللهِ أن تُدْرِكُوهُنَّ: لم تَظْهَرِ الفاحشةُ في قومٍ قَطُّ؛ حتى يُعْلِنُوا بها؛ إلا فَشَا فيهمُ الطاعونُ والأوجاعُ التي لم تَكُنْ مَضَتْ في أسلافِهِم الذين مَضَوْا، ولم يَنْقُصُوا المِكْيالَ والميزانَ إلَّا أُخِذُوا بالسِّنِينَ وشِدَّةِ المُؤْنَةِ، وجَوْرِ السلطانِ عليهم، ولم يَمْنَعُوا زكاةَ أموالِهم إلا مُنِعُوا القَطْرَ من السماءِ، ولولا البهائمُ لم يُمْطَرُوا، ولم يَنْقُضُوا عهدَ اللهِ وعهدَ رسولِه إلا سَلَّطَ اللهُ عليهم عَدُوًّهم من غيرِهم، فأَخَذوا بعضَ ما كان في أَيْدِيهِم، وما لم تَحْكُمْ أئمتُهم بكتابِ اللهِ عَزَّ وجَلَّ ويَتَخَيَّرُوا فيما أَنْزَلَ اللهُ إلا جعل اللهُ بأسَهم بينَهم).**

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وفي أشراط الساعة الصغرى (وهي ليست موضوعنا)، ما يوضح كثير من صفات أهل آخر الزمان التي ظهرت ومنها ضياع الأمانة: فقد روي في الصحيحين عَنْ حُذَيْفَةَ قَالَ: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللّهِ صلى الله عليه وسلم حَدِيثَيْنِ قَدْ رَأَيْتُ أَحَدَهُمَا، وَأَنَا أَنْتَظِرُ الآخَرَ، حَدَّثَنَا (أَنَّ الأَمَانَةَ نَزَلَتْ فِي جَذْرِ قُلُوبِ الرِّجَالِ. ثُمَّ نَزَلَ الْقُرْآنُ، فَعَلِمُوا مِنَ الْقُرْآنِ وَعَلِمُوا مِنَ السُّنَّةِ)، ثُمَّ حَدَّثَنَا عَنْ رَفْعِ الأَمَانَةِ قَالَ: (يَنَامُ الرَّجُلُ النَّوْمَةَ فَتُقْبَضُ الأَمَانَةُ مِنْ قَلْبِهِ، فَيَظَلُّ أَثَرُهَا مِثْلَ الْوَكْتِ، ثُمَّ يَنَامُ النَّوْمَةَ فَتُقْبَضُ الأَمَانَةُ مِنْ قَلْبِهِ. فَيَظَلُّ أَثَرُهَا مِثْلَ الْمَجْلِ، كَجَمْرٍ دَحْرَجْتَهُ عَلَى رِجْلِكَ فَنَفِطَ فَتَرَاهُ مُنْتَبِرًا وَلَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ (ثُمَّ أَخَذَ حَصىً فَدَحْرَجَهُ عَلَى رِجْلِهِ) فَيُصْبِحُ النَّاسُ يَتَبَايَعُونَ، لاَ يَكَادُ أَحَدٌ يُؤَدِّي الأَمَانَةَ حَتَّى يُقَالَ: إِنَّ فِي بَنِي فُلاَنٍ رَجُلًا أَمِينًا، حَتَّى يُقَالَ لِلرَّجُلِ: مَا أَجْلَدَهُ مَا أَظْرَفَهُ مَا أَعْقَلَهُ وَمَا فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ)، وَلَقَدْ أَتَى على زَمَانٌ وَمَا أُبَالِي أَيَّكُمْ بَايَعْتُ، لَئِنْ كَانَ مُسْلِمًا لَيَرُدَّنَّهُ على دِينُهُ، وَلَئِنْ كَانَ نَصْرَانِيًّا أو يَهُودِيًّا لَيَرُدَّنَّهُ على سَاعِيهِ، وَأَمَّا الْيَوْمَ فَمَا كُنْتُ لأُبَايِعَ مِنْكُمْ إِلاَّ فُلاَنًا وَفُلاَنًا.

وأهل هذه الطائفة الناجية هم من بشرهم الرسول الكريم وقال: (فطوبى للغرباء)، وقد قال الحق تعالى لهم: {الذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ} [الرعد ٢٩]، قال إبن عباس: فرح وقرة عين.

وهؤلاء الناجون هم أهل الثبات على الحق مهما كان الكيد والتنكيل، قال صلى الله عليه وسلم: (**أفضلُ الجهادِ كلمةُ عدلٍ عند سلطان جائرٍ**) رواه أبو داود والترمذي. وجاء في صحيح مسلم عنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رضي الله عنه عَنِ النَّبي صلى الله عليه وسلم قال: (**يخْرُجُ الدَّجَّالُ فَيتَوَجَّه قِبَلَه رَجُلٌ منَ المُؤمنِين فَيَتَلَقَّاهُ المَسالح: مسالحُ الدَّجَّال، فَيقُولُونَ لَهُ: إلى أيْنَ تَعمِدُ؟ فَيقُول: أعْمِدُ إلى هذا الَّذي خَرَجَ، فيقولُون له: أو ما تُؤْمِن برَبِّنَا؟ فَيَقُولُ: مَا برَبنَا خفَاء، فيقولُون: اقْتُلُوه، فيقُول بعْضهُمْ لبعضٍ: أَلَيْس قَدْ نَهاكُمْ رَبُّكُمْ أنْ تَقْتُلُوا أحَدًا دونَه، فَينْطَلِقُونَ بهِ إلى الدَّجَّال، فَإذا رَآهُ المُؤمِنُ قال: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إنَّ هذَا الدَّجَّالُ الَّذي ذكَر رَسُولُ اللَّه صلى الله عليه وسلم فَيأمُرُ الدَّجَّالُ بِهِ فَيُشبحُ، فَيَقولُ: خُذُوهُ وَشُجُّوهُ، فَيُوسَعُ ظَهْرُهُ وبَطْنُهُ ضَرْبًا، فيقولُ: أَوَمَا تُؤمِنُ بي؟ فَيَقُولُ: أنْتَ المَسيحُ الْكَذَّابُ، فَيُؤمرُ به، فَيؤْشَرُ بالمِنْشَارِ مِنْ مَفرِقِهِ حتَّى يُفرقَ بَيْنَ رِجْلَيْه، ثُمَّ يَمْشِي الدَّجَّالُ بَيْنَ الْقِطْعَتَيْنِ، ثمَّ يقولُ لَهُ: قُمْ، فَيَسْتَوِي قَائمًا. ثُمَّ يقولُ لَهُ: أتُؤمِنُ بِي؟ فيقولُ: مَا ازْددتُ فِيكَ إلاَّ بصِيرةً، ثُمَّ يَقُولُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إنَّهُ لاَ يفْعَلُ بعْدِي بأَحدٍ مِنَ النَّاس، فيأخُذُهُ الدَّجَّالُ لِيَذْبَحهُ، فَيَجْعَلُ اللَّه مَا بيْنَ رقَبَتِهِ إلَى تَرْقُوتِهِ نُحاسًا، فلا يَسْتَطِيعُ إلَيْهِ سَبيلًا، فَيَأْخُذُ بيَدَيْهِ ورجْلَيْهِ فَيَقْذِفُ بهِ، فيحْسَبُ الناسُ أنَّما قَذَفَهُ إلَى النَّار، وإنَّما أُلْقِيَ فِي الجنَّةِ فقالَ رسُولُ اللَّه صلى الله عليه وسلم: هذا أعْظَمُ النَّاسِ شَهادَةً عِنْد رَبِّ الْعالَمِينَ**)؛ رواه مسلم وروى البخاريُّ بَعْضَهُ بمعْنَاهُ.

ومن مظاهر تلك الغربة:

(أ) اشتباه الحق والباطل واختلاط الحرام بالحلال:

روي مسلم عن النُّعمان بن بَشير رَضِيَ الله عنه قال: قال رَسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم: (إنَّ الحَلال بَيِّنٌ، وإنَّ الحَرام بَيِّنٌ، وبَينهُما مُشْتَبِهات لا يَعلمهُنَّ كثيرٌ من الناس، فمَن اتَّقَى الشُّبُهات اسْتَبْرأ لِدِينه وعِرْضِه، ومَن وقَع في الشُّبُهات وقَع في الحَرام).

ورغم وضوح الحق بجلاء ووضوح الباطل كذلك بنفس القدر إلا أن إختلال القيم والمعايير والمفاهيم قد شتت أذهان كثير من أهل ذاك الزمان وهذا نراه واضحا في مواقع وبرامج الفتيا، ولكن مايحزنني حقا هو إشتباه الأمر على الناشئة والأطفال الذين تركهم الآباء والأمهات، للموبايل والتابلت واللابتوب، بل ولوسائل الاعلام، بل وأكثر من ذلك للمجتمع الفاسد، فهم يرون التوافه والرويبضة هم المشاهير والمبرزين، ويشاهدون المال بحوزة النصابين، ويرون النجاح حليف الغشاشين، ويرون أن أهل العلم والعلماء لايحظون بأي إحتفاء أو تقدير، وأهل الدين مهمشين ممنوعين من الكلام وربما مضطهدين، ولا يحفل المجتمع بأصحاب الخلق القويم، بل وهناك من يسخر من أهل الاحتشام والحجاب، وغير ذلك الكثير مما يطول شرحه ويصعب إحصاؤه، ماذا سيستقر في أذهان هؤلاء الفتية والناشئين، وهم لا شك يريدون النجاح والتقدير والتفوق والثراء.

ولا شك في أن هناك وراء ذلك أبالسة من الإنس وهناك أعداء للدين وهناك ظلمة ومستبدين ومنتفعين من وراء هذا الفساد، وهم حريصين على ترسيخ هذا التدليس والخلط، ومصالحهم تنتعش في ظل هذا الفساد وبضائعهم تروج في هذا المناخ، وهؤلاء يعملون في عماء وخفاء، ويرتدون ثياب المصلحين ويتقلدون مسوح الرهبان ويعتلون كل المناصب والمنصات. وإن كان الغرب قبلتهم فهم منا ومن أهل الملة وهم عملاء للغرب سواء كانوا على دراية بذلك أو دون دراية ولكن العلاقة بينهم موجودة وثابته، وقد صورها الحق سبحانه لنا بدقة وأبرز لنا مابها من خفاء واحتيال فقال تعالى: **{وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا}** [الأنعام ١١٢]، ومعني يوحي أي يخبر بخفاء وبزخرف القول اي بالكلام المعسول المقنع للجهلة من ذوي الهوى والمآرب الخفية. **وقد حذرنا من ذلك الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم فقال (لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَن قَبْلَكُمْ شِبْرًا بشِبْرٍ، وَذِرَاعًا بذِرَاعٍ، حتَّى لو سَلَكُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَسَلَكْتُمُوهُ، قُلْنَا: يا رَسُولَ اللَّهِ، اليَهُودَ وَالنَّصَارَى؟ قالَ: فَمَنْ؟).**

ومن صور لبس الحق بالباطل الكثيرة نذكر مايلي للتحذير:

www.alukah.net
شبكة الألوكة

١.ما يدعونه من إعمال العقل في كل النصوص المقدسة، والهجوم على أهل الحديث كالبخاري واتهام رواة كأبي هريرة، ومهاجمة رموز الإسلام كابن تيمية، وإلصاق تهمة الإرهاب بكل ما هو إسلامي.

٢.الترويج للاعتماد على نصوص القرآن فقط وإغفال السنة النبوية الشريفه رغم نص القرآن الواضح وقوله تعالي (مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا) النساء ٨٠. وقوله تعالي (وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلاغُ الْمُبِينُ) المائدة ٩٢. وقوله تعالي (وَما آتاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَما نَهاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقابِ) الحشر ٧.

٣.ما يروجون له مما يسمونه بالديانة الإبراهيمية والبيت الإبراهيمي الذي يساوي بين كتب اليهود والنصاري المحرفة وكتاب الله المحفوظ المصون (القرآن الكريم). ويجمع بين المسجد والكنيسة والدير.

٤. العلمانية ودعاة العلمانية – ولنا في ذلك تفصيل كامل في كتاب منشور – فهي دنيوية ودعوة لاتعترف بالدار الآخرة، وهي دهرية في ثياب جديده.

٥.ذيوع وشيوع الربا، ومحاربة كل فكر أو مشروع أقتصادي إسلامي، والإفتاء بحل فوائد البنوك في كثير من البلدان.

٦.إنكار الجهاد، والزعم بإنه إحتلال وإغتصاب وإرهاب بلا وجه حق.

٧.فرض قيم وأنماط الحياة في الغرب على المجتمعات المسلمة في صور شتي من مواثيق ومعاهدات دولية، وسلع غذائية ووسائل التسلية ومستحضرات تجميل، وأزياء، وسلع للجنس والمتعة و..، بالإضافة إلى القوي الناعمه والمواد الإعلامية المكتوبة والمسموعه والمرئية والشبكة العنكبوتيه وما أدراك ماهي؟

٨.ولا يخفى أننا سوقهم المفضل فنحن لاننتج شيئًا تقريبًا، فلا ننتج ما يكفينا من غذاء أو دواء أو سلاح.

٩.تحرير المرأة ومساواتها بالرجل هي إنشودتهم المفضلة، فالمرأة حرة في جسدها وفي علاقاتها وفي لباسها وميراثها، وهناك حقوق استجدت للمراهقين في ممارسة صحية آمنة كذلك، وأخيرًا جاءت الدعوة للمثلية.

وهناك الكثير مما يستحي من ذكره، وورد في مواثيق ومعاهدات دولية للأسف وافقنا عليها، وطبقنا بعضا منها، وهي تخالف شرع الله بل والفطرة السوية، ولاحاجة بنا للاستطراد.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

(ب) غيبة الحق وتضييق الخناق على أهله:

روي الشيخان من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إنَّ اللَّهَ لا يَقْبِضُ العِلْمَ انْتِزاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ النَّاسِ، ولَكِنْ يَقْبِضُ العِلْمَ بقَبْضِ العُلَماءِ، حتَّى إذا لَمْ يَتْرُكْ عالِمًا، اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤُوسًا جُهّالًا، فَسُئِلُوا فأفْتَوْا بغيرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وأَضَلُّوا).

هذا الحديث الشريف معجز بحق، ولايصدر إلا عن من لاينطق عن الهوي صلوات الله وسلامه عليه وقد تحقق بحذافيره، ففي مطلع هذا القرن مني المسلمين بفقد العديد من رموز العلم الذين لايخشون في الله لومة لائم، والذين كانوا ذخيرتنا في كل المحن واذكر على سبيل المثال لا الحصر ابن عثيمين وابن باز والغزالي والألباني.. و.. و.. وغيرهم، وبقي رؤوس جهال لن أذكر أسمائهم لعل الله أن يتوب عليهم، يقفون وراء كل مستبد ويروجون لفكر كل طاغية، ويحلون كل ما لم يحله الصحابة والتابعين، يدعون بأنهم أعلم من ابن تيمية وابن القيم وغيرهم، وينادون بتجديد التراث بتمزيق كتب التراث، وتجديد الخطاب الديني بكل مايهوي ويوافق فكر الحداثة والعلمانيين وهم أبواق وصدي لمفكري الغرب ممن ينادون بالدين المدني واللاهوت المصلح، على غرار الكالفينية و اللوثرية والأرمينيانية التي تدعو لحرية الإنسان وأن البشرية تمتلك حرية الإرادة، ولكنها في عبودية الخطيئة، حتى تعتق. وتلك هي مرجعيتهم التي فيها تحقيق مصالحهم ومآربهم وإرضاء شهوات نفوسهم في حب الظهور والشهرة ونيل رضا الحكام وسادتهم في الغرب.

روي البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم **(إذا ضُيِّعَتِ الأمانَةُ فانْتَظِرِ السَّاعَةَ قالَ: كيفَ إضاعَتُها يا رَسولَ اللَّهِ؟ قالَ: إذا أُسْنِدَ الأمْرُ إلى غيرِ أهْلِهِ فانْتَظِرِ السَّاعَةَ).**

ومن أكثر الأحاديث التي يتداولها الناس ليس بالصدفة وإنما لأنها تنكأ الجرح الذي يترف و لم يندمل هو حديث الرويبضة، قال صلى الله عليه وسلم **(سيأتي على الناسِ سنواتٌ خدّاعاتٌ؛ يُصدَّقُ فيها الكاذِبُ، ويُكذَّبُ فيها الصادِقُ، ويُؤتَمَنُ فيها الخائِنُ، ويَخوَّنُ فيها الأمينُ، وينطِقُ فيها الرُّوَيْبِضَةُ. قِيلَ: وما الرُّوَيْبِضةُ؟ قال: الرجُلُ التّافِهُ يتَكلَّمُ في أمرِ العامةِ)** رواه أنس وأبو هريرة رضي الله عنهما.

ومن أصدق ما يصور ذلك كذلك، ماجاء في الأثر الصحيح في الترغيب والترهيب وصححه الألباني ورواه عبد الرزاق: ماجاء عن الصحابي الجليل عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: **(كيف أنتم إذا لبستكم فتنة: يهرم فيها الكبير، ويربوا فيها الصغير، ويتخذها الناس سُنَّة، فإذا غيرت قالوا: غيرت السنة، قالوا: ومتى ذلك يا أبا عبد الرحمن؟ قال: إذا كثرت قُرَّاؤكم، وقلت فقهاؤكم، وكثرت أمراؤكم، وقلت أمناؤكم، والتمست الدنيا بعمل الآخرة)**، وفي رواية **(قالوا: ومتى ذلك؟ قال: إذا ذهبت علماؤكم، وكثرت جهلاؤكم، وكثرت قراؤكم، وقلت أمناؤكم، والتمست الدنيا بعمل الآخرة، وتفقه لغير الدين)**.

إن سكوتُ العلماءِ عن بيانِ الحقِّ، جعل اهل الباطل من مدعي العلم يعتلون المنابر، ويهيمون في كل وادي، منهم العميل، ومنهم الجاهل، ومما يؤسف له بأنهم أظهروا براعة لانظير لها في النفاق والتدليس والعمالة، بل وفاقوا اهل الاعلام. وقد نسوا في سبيل شهواتهم ومصالحهم عهد الله وميثاقه الذي أخذه على أهل العلم فقال تعالى: **{وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ}** [آل عمران ١٨٧]، قال الشيخ ابن عثيمين: أن الله عز وجل أخذ على أهل العلم العهد ببيان العلم وعدم كتمانه، وفيه التحذير من كتمان العلم؛ لأن الله ذكر ذلك على سبيل الذم، لا على سبيل المدح، وقد جاء عن النبي عليه الصلاة والسلام أن **(مَنْ سُئِلَ عَنْ عِلْمٍ وَهُوَ يَعْلَمُهُ ثُمَّ كَتَمَهُ؛ أُلْجِمَ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)**، نعوذ بالله، كما أنه كتم العلم و لم ينطق به فإنه يُجعل له يوم القيامة لجام يلجم به على فمه لسكوته عن بيان العلم.

يقول المفكر الكبير محمد الغزالي رحمه الله في كتابه (علل وأدوية): إن العرب خاصة يحملون مسؤولية ضخمة لا يحملها شعب آخر، فإن أصول الإسلام والتراث الإسلامى من الكتاب والسنة اكتمل بلغتهم، ونهر المعرفة الدينية والأدبية تفجر من منابعهم، وامتد مع التاريخ بلسانهم، فما مبلغ قيامهم بالدعوة الإسلامية؟ وما مدى جهدهم المعنوى في نقلها من قارة إلى أخرى؟

وقد رأينا الدول الاستعمارية تسحب جيوشها وتترك أقطارًا احتلتها، غير أنها وكلت إلى ثقافتها الغلابة أن تحتفظ لها بكل شيء، فإذا الغزو الثقافى أنكى من الغزو العسكرى، وإذا احتلال العقول أقسى من احتلال الأراضي.

إنه لا يستهين بأثر الثقافة إلا أحمق، ومذ أفلح الجهال في بلادنا، وعبثت أصابعهم بقيادنا، واضمحل العلم وانزوى أهله شرعنا ننهزم في كل ميدان.

وماذا يفعل العقل الإسلامى في مواجهة خصومه إذا كان في ميدان العلاقات الإنسانية يرخص الشورى وحقوق الإنسان وأشواق الفطرة وضمانات العدالة وحرمة المال، ويعطي في ذلك توجيهات ناقصة أو غامضة أو هيابة؛ لأن سطوة الحكم الفردى تعقل لسانه؟

إن الثقافة الإسلامية في محنة محزنة! وقد ورثنا خليطًا هائلًا من المعارف الدينية والمدنية يحتاج إلى نظر فاحص واختيار لبيب، لذا يجب إعادة ترتيب العقل الإسلامي من جديد، أساس هذا الترتيب فيما أرى: تنسيق شعب الإيمان في سلم يكشف أدناها وأعلاها، وبإحصاء شؤون الدنيا التى لا يقوم الإيمان إلا بها، وتوزيع قوى الجماعة عليها، والتعريف بالقطعيات والظنيات في آفاق التشريع ومواطن التقليد والاجتهاد، والمحاكمة المستمرة لأعمال السلطات الإسلامية وتبيين الخطأ والصواب في مسيرتها، والمراجعة الواعية لأرباحنا وخسائرنا طوال القرون الماضية.

ولا أزال أؤكد الكلمة الحكيمة: دين الله أشرف من أن يؤخذ من أفواه الحمقى، لا بد من محو هذه الفوضى الفكرية، وإعادة الرشد إلى حياتنا الثقافية، وتمكين أولى الألباب من عرض الإسلام دون تحريف ولا مغالاة دون قصور ولا فوضى.

ومن اقوال الغزالي قوله: انما فسدت الرعية بفساد الملوك وفساد الملوك بفساد العلماء فلولا القضاة السوء والعلماء السوء لقل فساد الملوك خوفا من إنكارهم.

ومن اقواله كذلك: كل دعوة تحبب الفقر إلى الناس أو ترضيهم بالدون من المعيشة أو تقنعهم بالهون في الحياة، أو تصبرهم على قبول البخس أو الرضا بالدنيه، هي دعوة فاجرة يراد بها التمكين للظلم الاجتماعي وارهاق الجماهير الكادحة في خدمة فرد أو أفراد، وهي قبل ذلك كله كذب على الإسلام، وافتراء على الله.

(رحمة الله على الأستاذ الغزالي فقد كان امتدادًا لرموزنا الذين كانوا لايخشون في الحق لومة لائم؛ كالامام أحمد وابن تيمية والعز بن عبدالسلام... وغيرهم)، وما كان الحق تبارك وتعالى ولا رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم؛ ليرضي لإمة الإسلام بهذا الهوان والتسول والعوز والتطفل على موائد أعداء الإسلام والأمة.

(ج) الانكباب على الشهوات والمتع والملذات ووسائل الترفيه:

لاينكر كل من له بصر أو بصيرة بأننا نقتات فكريًّا واقتصاديًّا وسياسيًّا واجتماعيًّا على موائد الغرب، فنحن لاننتج شيئًا مما نحتاجه ولا مما نقتنيه، وذلك في كل مناحي الحياة الضرورية وغير الضرورية بلا تفرقة، ونحن أول من يسارع لاقتناء أحدث ما وصلت إليه تكنولوجيا وعلوم الغرب في مستحضرات التجميل ووسائل التسلية والترفيه والملذات، وسلع المتعة والمشهيات والمنشطات، فلا شغل لنا غير الجري بجدية خلف كل ما نشتهي وما يجلب لنا اللذة، وهذا هو ما يزيدنا ضعفًا وخنوعًا وانبطاحًا، هي حقيقة مؤلمة لكنها واقعة، نحن لا نقدم للعالم حضاريًّا شيئًا ذا بال من علوم أو تكنولوجيا أو بضائع، حتى ما حبانا الله به من ثروات لا نستطيع حتى استخراجها من باطن الأرض، وما نستطيع استخراجه منها لا نستطيع الاستفادة منه بالشكل الأمثل، فنقوم بتصديره في شكل خامات للغرب؛ ليقوم بتدويره وتطويره واستغلاله تكنولوجيًّا، وإعادة بيعه ثانية لنا في شكل سلع بأضعاف الأضعاف، نعتمد على شركات الغرب في الاستكشاف والاستخراج والتطوير، وبناء المصانع واستيراد آلات المصانع، بل والمؤسف أننا حتى في اللهو وفي المجال الرياضي لا نتطور إلا إذا استقدمنا مدربين وحكام أجانب، وربما قمنا بإعطاء الجنسية للاعبين أفارقة وأجانب ليمثلونا في المسابقات الدولية.

نحن نستورد سلعًا لا تتماشى مع ديننا وثقافتنا ولا تدعم مجتمعاتنا بأي شكل، ونستجلب حتى قيم مجتمعاتهم وعاداتهم في الملبس والمأكل، وذلك جريًا وراء شهواتنا وملذاتنا، ويمكننا الدفع فنحن نمتلك قوى

شرائية رهيبة، وبذلك فنحن سوق استهلاكي مثالي لكل بضائع وسلع الغرب بداية من السلاح وحتى المنشطات والألعاب الجنسية.

وقد كنت قد أعددت نصوصًا وأحاديث وآثار لبيان ماشرع الله للمسلم من أوجه الإنفاق، ومن التحذير من الإسراف والتبذير، ومن التفريق بين اللهو واللعب، لكنني عدلت عن طرح ذلك على القراء **وسأكتفي بتكرار ذكر قوله صلى الله عليه وسلم:**

(والله ما الفَقْر أخْشى عليكم، ولكن أخشى عليكم أن تُبْسَط عليْكُم الدنيا، كما بسطت على من كان قبلكم، فتنافسوها كما تنافسوها، فتهلِككم كما أهلكتهم).

وقوله صلى الله عليه وسلم: (إنَّما أخشى عليكم الشهوات التي في بطونكم وفروجكم، ومضلاَّت الفتن) وفي رواية **(ومضلاَّت الهوى).**

ففي هذان الحديثان الكفاية.... وحسبنا الله ونعم الوكيل.

العزلة في زمن الغربة

في زمان انقلبت فيه الموازين واشتبه فيه الحلال بالحرام، وعلا صوت الباطل وتوحش، وتم إسكات وتخويف وتخوين الحق، اختار معظم الناس العزلة، تقية وخوفًا من البطش والسجن أوالاعتقال أو الإعدام.. نعم الإعدام، ولهم في ذلك الأسوة في صحابة الرسول الكريم الذين اعتزلوا الفتنة الكبرى.

فقد اعتزل الفتنة بين على ومعاوية رضي الله عنهما: سعد بن أبي وقاص، وعبد الله بن عمر، ومحمد بن مسلمة الأنصاري، وسلمة بن الأكوع، وسعيد بن زيد، وصهيب الرومي، وأسامة بن زيد، وأبو هريرة، والمغيرة بن شعبة، وعبد الله بن سعد بن أبي سرح، وسعيد بن العاص وزيد بن ثابت، وعبد الله بن مغفل وعبد الله بن سلام، وغيرهم رضي الله عنهم جميعا (الذهبي)

جاء في خبر صحيح أنه قيل لسعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: ألا تقاتل، فإنك من أهل الشورى، وأنت أحق بهذا الأمرمن غيرك؟ قال: (لا أقاتل حتى تأتوني بسيف له عينان، ولسان وشفتان، يعرف الكافر من المؤمن، وقد جاهدت وأنا أعرف الجهاد، ولا أبخع نفسي إن كان رجل خيرا مني).

وفي رواية أخرى أن أحد أبناء سعد، قال لوالده: نزلت في إبلك وغنمك وتركت الناس يتنازعون الملك، فضرب سعد صدر ولده عمر وقال له: (اسكت سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إن الله يحب العبد التقي الغني الخفي). وفي رواية للامام أحمد أن سعدا قال لابنه عمر: (أي بني أفي الفتنة تأمرني أن أكون رأسًا، لا والله حتى أعطي سيفًا إن ضربت به مؤمنًا نبا عنه، وإن ضربت به كافرًا قتلته).

وروي عنه أن سعدا قال لرجل: هل لك من غنم؟ قال: لا، فقال له سعد: فاشتر غنما، فكن فيها حتى تنجلي الفتنة.

وأما محمد بن مسلمة الأنصاري رضي الله عنه – فقد اعتزل موقعتي الجمل وصفين واتخذ سيفا من خشب، وخرج من المدينة إلى بادية الرِّبذة وأقام بها، وكان ذلك بأمر نبوي، على ما ذكره الحافظ الذهبي وهو من نجباء الصحابة، شهد بدرًا والمشاهد الأخرى، وقد قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا تضرُّه الفتنة)، وفي رواية: (لا تضرُّك الفتنة)؛ رواه الحاكم في المستدرك، وقد روى الطبراني في الأوسط حديثا قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم لمحمد بن مسلمة: (**إذا رأيت الناس يقتتلون على الدنيا فاعمد بسيفك على أعظم صخرة في الحرة، فاضربه بها، ثم اجلس في بيتك حتى تأتيك يد خاطئة، أومنية قاضية**)، ثم قال محمد بن مسلمة: ففعلت ما أمرني به رسول الله صلى الله عليه وسلم).

وروى البخاري عن أسامة بن زيد حب رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسل من قال للإمام علي رضي الله عنه عندما أرسل يسأله عن تخلفه عنه؟ قل له: (لو كنت في شدق الأسد لأحببت أن أكون معك فيه، لكن هذا الأمر لم أره).

وأما عن أبي هريرة رضي الله عنه فقد اعتزل الفتنة و لم يلابسها تمسكًا بالحديث المشهور عن اعتزال الفتنة، وهو أحد رواته، فقد جاء في صحيح البخاري عن أبي هريرة، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (**ستكون فتن القاعد فيها خير من القائم، والقائم فيها خير من الماشي، والماشي فيها خير من الساعي، ومن تشرّف لها تستشرفه، فمن وجد فيها ملجأ أو معاذا فليعذ به**).

وهناك كما نعلم من انخرط في الفتنة وانضم لأحد الفريقين، واحتج إما بقول الحق تبارك وتعالى: {**وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ**} [الحجرات: ٩]، أو بقوله صلى الله عليه وسلم: (**المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم خير من الذي لا يخالطهم ولا يصبر على أذاهم**)، واحتجوا بغير ذلك.

ففي زمن الفتنة كما نرى تتباين الآراء وتتشعب المواقف، ويصبح كثير من العامة بين بين، ففي الفتنة كانت هناك أربعة مواقف وأربعة آراء نتج عنها انقسام الناس لأربعة طوائف:

١. طائفة طالبت الخليفة الإمام علي رضي الله عنه بالبدء والمسارعة في القصاص من قتلة عثمان رضي الله عنه ومنهم طلحة بن عبيدالله والزبير بن العوام رضي الله عنهما.
٢. وطائفة اشترطت القصاص من القتلة شرطًا للمبايعة، وهم أهل الشام ومعهم معاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص والنعمان بن بشير رضي الله عنهم.

٣. وطائفة مع الإمام علي ترى ضرورة القصاص، لكن بعد جمع كلمة الأمة ووحدتها، ومعه ابن عباس وعمار بن ياسر، والحسن والحسين رضي الله عنهم، وقد أعلن الإمام علي بأن هذا قراره وهو اجتهاد منه فهو ما يحقق الهدف المرجو وله حق الطاعه بحكم البيعة.

٤. ثم كانت الطائفة التي آثرت الاعتزال؛ إيثارًا لحق الدماء خاصة عند الالتجاء إلى القتال في وقعتي الجمل وصفين، ومنهم من انضم لعلي رضي الله عنه عند قتاله للخوارج، ومنهم من نجاه الله فكفَّ بصره.

ومن أحكم ما يروى عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قوله: (يأتي على الناس زمان تكون العافية فيه عشرة أجزاء، تسعه منها في اعتزال الناس وواحدة بالصمت)، هنا تكمن العافية كلها تقريبًا في اعتزال الناس والصمت، وذلك في زمان الفتنة وتفرق الجماعة وعدم وجود إمام يجمع شمل الأمة.

هذا وإلجام اللسان في كل حال هو ملاك الأمر كله – وهو ألزم في حال العزلة – من أجل التفكر والتدبر لفتح البصيرة، ولأجل إعمال العقل وصلاح العمل، وإطلاق الجوارح؛ كي تقوم بمهمتها في الكون من إعمار ونفع للانسانية وللسمو بالأخلاق، والارتقاء بالعلوم ونشر العدل، وهذه هي الحضارة التي يريدها الله وقد أقامها الإسلام في عهوده الزاهرة، ولا زال العالم كله يدين لعلماء المسلمين بفضل قيامها حتى الآن، ففي حديث معاذ رضي الله عنه في صحيح الترمذي يقول صلى الله عليه وسلم: (**ألا أخبرُكَ بملاكِ ذلِكَ كلِّهِ؟ قُلتُ: بلَى يا رسولَ اللَّهِ، قال: فأخذَ بلِسانِهِ قالَ: كُفَّ عليكَ هذا، فقُلتُ: يا نبيَّ اللَّهِ، وإنَّا لمؤاخَذونَ بما نتَكَلَّمُ بِهِ؟ فقالَ: ثَكِلَتكَ أمُّكَ يا معاذُ، وَهَل يَكُبُّ النَّاسَ في النَّارِ على وجوهِهِم أو على مَناخرِهِم إلَّا حَصائدُ ألسنتِهِم**).

فحضارة الغرب ليست حضارة بالمعني الصحيح، فهي لم تقدِّم شيئًا يرتقي بالإنسان روحًا وخلقًا وتعاونًا وتوحدًا على العدل وعلى الفضائل، فكل ما قدمته لا يصب إلا في إثارة نوازع الشر في الإنسان ومخاطبة ما فيه من شهوات ومتع وملذات.

وقد جاء في الصحيحين عن أبي إدريس الخولاني أنه سمع حذيفة بن اليمان يقول: (كانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ عَنِ الخَيْرِ، وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي..)، ولهذا الحديث روايات متعددة.

وقد قام الشيخ الألباني رحمه الله بجمع كل ما ثبت منها، فعن حذيفة بن اليمان قال: (**كان الناس يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني، فقلت: يا رسول الله: إنا كنا في جاهلية وشر، فجاءنا الله بهذا الخير، فنحن فيه، وجاء بك، فهل بعد هذا الخير من شر كما كان قبله؟ قال: يا حذيفة: تعلم كتاب الله واتَّبع ما فيه ثلاث مرات، قال: قلت يا رسول الله: أبعد هذا الخير شر؟ قال: نعم، قلت: فما العصمة منه؟ قال: السيف، قلت: وهل بعد ذلك الشر من خير؟ وفي طريق: قلت: وهل بعد السيف بقية؟ قال: نعم، وفيه، وفي طريق: تكون إمارة، وفي لفظ**

جماعة، على أقذاء وهدنة على دخن، قلت: وما دخنه؟ قال: قوم، وفي طريق أخرى: يكون بعدي أئمة يستنون بغير سنتي، ويهدون بغير هديي، تعرف منهم وتنكر، وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان إنس، وفي أخرى: الهدنة على دخن ما هي؟ قال: لا ترجع قلوب أقوام على الذي كانت عليه، قلت: فهل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: نعم، فتنة عمياء صماء عليها دعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها، قلت: يا رسول الله: صفهم لنا، قال: هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا، قلت: يا رسول الله، فما تأمرني إن أدركني ذلك؟ قال: تلتزم جماعة المسلمين وإمامهم، تسمع وتطيع الأمير، وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك، فاسمع وأطِع، قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: فاعتزل تلك الفرق كلها ولو أن تعضَّ بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك، وفي طريق: فإن تمت يا حذيفة وأنت عاض على جذل خير لك من أن تتبع أحدًا منهم، وفي أخرى: فإن رأيت يومئذ لله عز وجل في الأرض خليفة فالزمه، وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك، فإن لم تر خليفة فاهرب في الأرض حتى يدركك الموت وأنت عاضٌّ على جذل شجرة، قال: قلت: ثم ماذا؟ قال: ثم يخرج الدجال، قال: قلت: فبم يجيء؟ قال: بنهر أو قال: ماء ونار، فمن دخل نهره حط أجره ووجب وزرُه، ومن دخل ناره وجب أجرُه وحطَّ وزرُه، قلت: يا رسول الله: فما بعد الدجال؟ قال: عيسى ابن مريم، قال: قلت: ثم ماذا؟ قال: لو أنتجت فرسًا لم تركب فلوَّها حتى تقوم الساعة)،

يقول الشيخ الألباني رحمه الله: هذا حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه، الذي أسر له النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم بأسماء المنافقين؛ يقول: (كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الْخَيْرِ)، حتى يفعلوه ويقوموا به، وأنا أسأله عن الشر لئلا أقع فيه، فالخير عنده علم منه ويفعله، لكنه لا يعرف الشر، والإنسان كما أنه مأمور بالعلم بالخير، فإنه مأمور بالعلم بالشر ليجتنبه ويتقيه؛ يقول رضي الله عنه: (إِنَّا كُنَّا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَشَرٍّ، فَجَاءَنَا اللهُ بِهَذَا الْخَيْرِ، فَهَلْ بَعْدَ هَذَا الْخَيْرِ شَرٌّ؟): فالإسلام فيه الخير كلّه، فيما يتعلق بالعباد، والأخلاق، والمعاملة (فهل بعد هذا الخير شر؟ قال نعم، قال: وهل بعد هذا الشر خير؟ قال: نعم، وفيه دَخَن). ليس صافيا كالخير الأول فالخير في القرن الأول بل في القرون الثلاثة كله خير محض، ثم يأتي بعد ذلك شر، ثم يأتي بعده خير لكن فيه دخن، وإذا تتبعت التاريخ وجدت أن هذه المراتب التي ذكرها النبي صلى الله عليه وسلم وقعت كلها كما حدث المعصوم صلى الله عليه وسلم.

(قُلْتُ: وَمَا دَخَنُهُ؟ قَالَ: قَوْمٌ يَسْتَنُّونَ بِغَيْرِ سُنَّتِي، وَيَهْدُونَ بِغَيْرِ هَدْيِي، تَعْرِفُ مِنْهُمْ وَتُنْكِرُ): وهذا أيضًا وقع، فقد كان في بعض القرون التعصب الشديد للمذاهب والأشخاص، حتى كان يهجر بعضُهم بعضا، ويصل في بعض الأحيان إلى حد الضرب كما ذكره أهل العلم، وتجد هؤلاء المتعصّبين تجدهم يلوذون بأحد الخلفاء، من أجل أن يحققوا مآربهم، وتكون لهم الهيمنة لمذهبهم، وقد ذكر صاحب الفروع رحمه الله من ذلك أشياء – يقصد القاضي شمس الدين أبي عبد الله محمد بن مفلح بن محمد بن مفرج وهو أحد أبرز تلامذة الإمام ابن تيمية، وأحد أبرز فقهاء الحنابلة صاحب كتاب الفروع في الفقه الحنبلي – وهو

التعصّب الكامل حتى إن بعضَهم يُنابذُ بعضًا، ويصارحهم في المنابذة فمثلًا في ليلة الثلاثين من شعبان إذا كان هناك غيمٌ أو قتر من أهل العلم من قال: يجب أن يُصام يوم الثلاثين، لاحتمال أن يكون الهلال قد اختفى من الغيم أو القتَر، ومنهم من يقول: لا نصوم، لأن الأصل بقاء شعبان، وإذا رجعنا إلى الدليل الأثري وجدنا أن النبي صلى الله عليه وسلم يقول: (فإن غُم عليكم فأكملوا العدة ثلاثين)، فلا نصوم، فكان بعضهم على غير المعتاد يمشي في الأسواق ومعه شيء يأكله من أجل أن يُراغم الآخرين، ومن المعلوم أن مثل هذا يوجب العداوة؛ لأنها مراغمةٌ في دين، والدين أكبر شيء عند المسلم، فهذا هو الدَّخَن: أنهم يهتدون بغير هدي الرسول صلى الله عليه وسلم تعصبًا لمذاهبهم، ويهدون الناس بغير هدي الرسول صلى الله عليه وسلم.

(فَقُلْتُ: هَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟ قَالَ: نَعَمْ، دُعَاةٌ عَلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا): وهذا شر، دعاة يدعون إلى أبواب جهنّم بمعنى أنهم ينظرون إلى كل طريق يوصل إلى النار فيفتحونه للناس والعياذ بالله، سواء في العقيدة، أو في الأخلاق، أو في الشريعة، فهم دعاة إلى أبواب جهنم.

هؤلاء الدعاة ينقسمون إلى قسمين: قسم التبس عليهم الحق بالباطل، وقسم آخر معاندون، يعلمون الحق ولكنهم يصرون على خلافه، كل هؤلاء دعاة إلى أبواب جهنم؛ لأن الذي اشتبه عليه الحق يجب أن يبحث حتى يتبين، والآخر معاند أمره واضح، (فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، صِفْهُمْ لَنَا، قَالَ: نَعَمْ، قَوْمٌ مِنْ جِلْدَتِنَا، وَيَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَتِنَا)، إذًا هم عرب أو ليسوا بعرب؟ عرب في اللون وعرب في اللسان، ومع ذلك هم من دعاة جهنم والعياذ بالله ويتكلمون بألسنتنا، (فقلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، فَمَا تَرَى إِنْ أَدْرَكَنِي ذَلِكَ؟ قَالَ: تَلْزَمُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ) وهذا إشارة إلى أن هؤلاء القوم بُغاة أو خوارج، وأن هناك جماعة وهي الأم للمسلمين، فليلزم الإنسان جماعة المسلمين، وإمامهم.

(قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُمْ جَمَاعَةٌ وَلَا إِمَامٌ؟ قَالَ: فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الْفِرَقَ كُلَّهَا) يعني لا تكن مع هؤلاء وهؤلاء. (وَلَوْ أَنْ تَعَضَّ عَلَى أَصْلِ شَجَرَةٍ حَتَّى يُدْرِكَكَ الْمَوْتُ وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ). وفي هذا الحديث الآية البينة للرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم، حيث أخبر بما طابق الواقعَ تمامًا.

وقال كذلك الشيخ الألباني: أقول فإن في هذا الحديث تصريحًا واضحًا جدًّا يتعلق بواقع المسلمين اليوم؛ حيث إنه ليس لهم جماعة قائمة ولهم إمام مبايع، وإنما هناك كما ذكرت آنفًا أحزاب مختلفة اختلافات فكريًّا ومنهجيًّا أيضًا، ففي هذا الحديث أن المسلم إذا أدرك مثل هذا الوضع، فعليه حينذاك ألا يتحزب، وألا يتكتل مع أي جماعة أو مع أي فرقة ما دام أنه لم توجد الجماعة التي عليها إمام مبايع من المسلمين.

وقد نص بعض المحدثين والحفاظ المتقدمين على ما يؤكد هذا الذي يدل عليه هذا الحديث وعلى ما بينته سابقا كما نقل الحافظ ابن حجر العسقلاني رحمه الله في شرحه لهذا الحديث عن الإمام الطبري رحمه الله أنه قال: (وفي الحديث أنه متى لم يكن للناس إمام فافترق الناس أحزابا فلا يتبع أحدًا في الفرقة ويعتزل الجميع إن استطاع ذلك خشية من الوقوع في الشر).

فحينئذ يجب على السلفيين عامة أن يظلوا على دعوتهم في تفهم الكتاب والسنة وعلى منهج السلف الصالح، يدعون كل الجماعات وكل الأحزاب إلى دعوتهم الحق هذه، ولا يتحزبون هم كحزب ولا يقرون الأحزاب الأخرى، كما قد قرأنا من بعض السلفيين أنهم يقررون هذه التكتلات وهذه التحزبات خلافًا لحديث حذيفة هذا المذكور آنفًا، ونحن حينما نقرر هذا الحقيقة نعتقد جازمين أن الذي ذكرناه آنفًا شيء، وأننا لا نضلل ولا نكفر أي حزب أو أي جماعة يخالفوننا في بعض المسائل الفكرية أو في منهجنا في الدعوة؛ فذلك لأننا نريد أن ينضم كل المسلمين إلى هذه الدعوة الحق التي لا بديل لها؛ لأنه هو الحق الذي جاء به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وسار عليه المسلمون طيلة هذه القرون التي مضت ولذلك فنحن نقول: (وكل خير في اتباع من سلف وكل شر في ابتداع من خلف).

فإذا قدر أن الإنسان بين خيارين: إما الانفراد، وإما مجالسة أهل السوء؛ فلا شك أن الانفراد أفضل، وهو ما تدل عليه النصوص واوضح الأدلة؛ قال ابن عبد البر رحمه الله: (وَرُبَّ صَرْمٍ جَمِيلٍ خَيْرٌ مِنْ مُخَالَطَةٍ مُؤْذِيَةٍ).

وقد سئل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

أيما أفضل للسالك العزلة أم الخلطة؟ وإذا قدر أحدهما، فهل يكون ذلك على الإطلاق أم وقتا دون وقت؟

فأجاب:

هَذِهِ الْمَسْأَلَةُ وَإِنْ كَانَ النَّاسُ يَتَنَازَعُونَ فِيهَا؟ إمَّا نزَاعًا كُلِّيًّا، وَإِمَّا حَالِيًّا؛ فَحَقِيقَةُ الْأَمْرِ: أَنَّ الْخُلْطَةَ تَارَةً تَكُونُ وَاجِبَةً أو مُسْتَحَبَّةً، وَالشَّخْصُ الْوَاحِدُ قَدْ يَكُونُ مَأْمُورًا بِالْمُخَالَطَةِ تَارَةً وَبِالِانْفِرَادِ تَارَةً. وَجِمَاعُ ذَلِكَ: أَنَّ الْمُخَالَطَةَ إنْ كَانَ فِيهَا تَعَاوُنٌ عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى، فَهِيَ مَأْمُورٌ بِهَا. وَإِنْ كَانَ فِيهَا تَعَاوُنٌ عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ، فَهِيَ مَنْهِيٌّ عَنْهَا. فَالِاخْتِلَاطُ بِالْمُسْلِمِينَ فِي جِنْسِ الْعِبَادَاتِ: كَالصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ وَالْجُمُعَةِ وَالْعِيدَيْنِ وَصَلَاةِ الْكُسُوفِ وَالِاسْتِسْقَاءِ وَنَحْوِ ذَلِكَ: هُوَ مِمَّا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ وَرَسُولُهُ. وَكَذَلِكَ الِاخْتِلَاطُ بِهِمْ فِي الْحَجِّ وَفِي غَزْوِ الْكُفَّارِ وَالْخَوَارِجِ الْمَارِقِينَ، وَإِنْ كَانَ أَئِمَّةُ ذَلِكَ فُجَّارًا، وَإِنْ كَانَ فِي تِلْكَ الْجَمَاعَاتِ فُجَّارٌ. وَكَذَلِكَ الِاجْتِمَاعُ الَّذِي يَزْدَادُ الْعَبْدُ بِهِ إيمَانًا: إمَّا لِانْتِفَاعِهِ بِهِ، وَإِمَّا لِنَفْعِهِ لَهُ وَنَحْوِ ذَلِكَ.

وَلَا بُدَّ لِلْعَبْدِ مِنْ أَوْقَاتٍ يَنْفَرِدُ بِهَا بِنَفْسِهِ، فِي دُعَائِهِ وَذِكْرِهِ وَصَلَاتِهِ وَتَفَكُّرِهِ وَمُحَاسَبَةِ نَفْسِهِ وَإِصْلَاحِ قَلْبِهِ، وَمَا يَخْتَصُّ بِهِ مِنْ الْأُمُورِ الَّتِي لَا يَشْرَكُهُ فِيهَا غَيْرُهُ فَهَذِهِ، يَحْتَاجُ فِيهَا إلَى انْفِرَادِهِ بِنَفْسِهِ؛ إمَّا فِي بَيْتِهِ، كَمَا قَالَ طاوس: نِعْمَ صَوْمَعَةُ الرَّجُلِ بَيْتُهُ، يَكُفُّ فِيهَا بَصَرَهُ وَلِسَانَهُ، وَإِمَّا فِي غَيْرِ بَيْتِهِ.

فَاخْتِيَارُ الْمُخَالَطَةِ مُطْلَقًا خَطَأٌ، وَاخْتِيَارُ الِانْفِرَادِ مُطْلَقًا خَطَأٌ.

وَأَمَّا مِقْدَارُ مَا يَحْتَاجُ إلَيْهِ كُلُّ إنْسَانٍ مِنْ هَذَا وَهَذَا، وَمَا هُوَ الْأَصْلَحُ لَهُ فِي كُلِّ حَالٍ: فَهَذَا يَحْتَاجُ إلَى نَظَرٍ خَاصٍّ كَمَا تَقَدَّمَ.

وقد ذكر ابن قدامة عن ابن الجوزي رحمه الله في شرح (مختصر منهاج القاصدين) أن للعزلة ست فوائد:

١. الفراغ للعبادة والاستئناس بمناجاة الله عز وجل. فهذا أفضل من المخالطة.

٢. العزلة تنأي بصاحبها عن المعاصي، كالغيبة، والسلامة عند الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ففي زمن الفتنة لا يخلو الأمر من ضرر يقع على من سكت وعلى من أنكر، وكذلك الاحتراز من الرياء، ثم النأي عن اكتساب الطباع والأخلاق الرديئة.

٣. الخلاص من الفتن والخصومة وصيانة الدين بسبب التعصب والتحزب، وقد روى ابن عمر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ذكر الفتن، ووصفها وقال: (**إذا رأيتَ النَّاسَ مرِجَت عُهودُهم وخانَت أمانتُهم وَكانوا هَكذا وشبَّكَ بينَ أصابعِه فقمتُ إليهِ فقلتُ لهُ كيفَ أصنعُ عندَ ذلِك يا رسولَ اللَّهِ جعلَني اللَّهُ فداكَ قال الزَم بيتَكَ واملِك عليكَ لسانَكَ وخذ ما تعرفُ ودع ما تُنكرُ عليكَ بأمرِ خاصَّةِ نفسِك ودع عنكَ أمرَ العامَّةِ**)؛ رواه ابو داود وابن ماجه وأحمد.

٤. الخلاص من شرور الناس، بالابتعاد عن الغيبة، والنميمة، وسوء الظن، فمن خالط الناس لم ينفك من حاسد وعدو، حتى من أقاربه ومعارفه وغيرهم وفى العزلة خلاص من ذلك كله.

٥. أن ينقطع طمع الناس عنك، وطمعك عنهم، فإن رضاهم غاية لا تدرك.

٦. الخلاص من مشاهدة الثقلاء والحمقى، ومقاساة أخلاقهم.

المحتويات

غربة الإسلام وعزلة المسلم..... ٣
الحديث الأول ٣
والحديث الثاني..... ٣
ثنائية الدولة العلمانية والمواطن المسلم:..... ٥
دور المجتمع في بلوغ كمال الإيمان: ٧
غربة الإسلام ٨
ومن مظاهر تلك الغربة: ١٢
(أ) اشتباه الحق والباطل واختلاط الحرام بالحلال: ١٢
(ب) غيبة الحق وتضييق الخناق على أهله: ١٤
(ج) الانكباب على الشهوات والمتع والملذات ووسائل الترفيه: ١٦
العزلة في زمن الغربة.....١٧